خطبة جمعة

بعنوان

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، فإن تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هي السعادة في الدنيا، وهي الفوز والنجاة يوم القيامة، معاشر المؤمنين: قبل ألف وأربعمائة وأربعين سنة تقريبًا، وفي يوم عرفة في حجة الوداع، نزل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية كريمة عظيمة من آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حسدتنا عليها اليهود، وهي قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

تلا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية العظيمة في يوم مشهود، وهو يوم عرفة في حجة الوداع، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، هذه الآية العظيمة فيها رد على فئتين:

➢ **الفئة الأولى**: فئة تزعم بلسان حالها أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكمل الدين، فزادوا من عندهم، وغلوا في دينهم، وأضافوا، واستدركوا على دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأتوا ببدع الأقوال والأفعال، أتوا بأمور لم يفعلها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقوال لم يقلها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا لا شك فيه إساءة ظن بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لذلك حذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الفعل مرارًا، فلما سمع عن أقوام تقالوا عبادة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سألوا عن عبادته، فأُخبروا أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يصوم ويفطر، ويقوم وينام، ويتزوج النساء، قال أحدهم: أما أن فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الثالث: وأما أنا فلا أتزوج النساء، فغضب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سمع هذه الكلام، ووجه غضبه: أن هؤلاء بلسان حالهم كأنهم يقولون: أن الدين قاصر، وأن فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير كامل.

لذلك خطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطبة حسم فيها هذا الظن، وبدأها بقوله: «أما إني ... أن يأتي بشيء خير مما أتيت به» لم يقلها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تكبرًا أو تفاخرًا على الناس، حاشاه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الكبر، بل كان سيد المتواضعين، لكنه قالها قطعًا لتلك الظنون التي يظنها بعض المتحزلقين أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان المفروض يأتي بأفضل من ذلك، وإن لم يصرحوا بها بألسنتهم لكن لسان حالهم يقول ذلك.

فلما تأتي بعبادة لم يشرعها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكأنك تقول: أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد قصر؛ لذلك قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أما أن فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، فهذه الآية العظيمة ردٌّ على هؤلاء الذين يزعمون بلسان حالهم أو بلسان مقالهم أن الشريعة لم تكمل، وهذا الظن قد قطعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

***

«الخطبة الثانية»

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

➢ **أما الفئة الثانية** الذين يناقضون ما دلت عليه هذه الآية الكبيرة هم تلك الفئة التي تزعم أن الدين الإسلامي قاصر عن مواكبة تطورات الحياة، فيظنون ويريدون أن يلغوا من كتاب الله أو من سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحكامًا وأحكامًا، يود أحدهم لو يحك الآية من كتاب الله، قال الله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

هذا الرضا ليس رضًا مؤقتًا في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أبدًا، وإنما هو رضا ممتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهذا الدين الذي يزعم أن فيه شيئًا لا يتناسب مع الحياة فقد كذب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكذب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنهم أقوام تلوَّثت عقولهم، وتبدلت فطرهم، واغتروا وانبهروا بالكفار، فتغيرت نظرتهم للأمور، فرأوا الحسن قبيحًا، والقبيح حسنًا، ثم يريدون أن يحاكموا شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى هذه النظرة القاصرة، ولسان حالهم يقول: أن عقلنا هو محور الكون، وأن الذي يخالف ما نراه وما نستحسنه يجب أن يُلغى، وهذا لا شك ضلال مبين، لا يقل عن ضلال الفئة الأولى التي تريد أن تزيد في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي التي ارتضاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي صالحة لكل زمان ولكل مكان، لا تحتاج منك إلا أن تعمل بها، ولا تغلو فيها ولا تجفو عنها، لا تزد من عندك بدعًا تستدرك فيها على شريعة الله، ولا تنقص من هذه الشريعة ما يناسب هواك.

فبعض المسلمين يختار من الشريعة ما يناسبه، ويُلغي ما لا يناسبه، يقول: نعم الصلاة ما عندي مشكلة، لكن حرمة الربا لا، أقول: يا أخي طيب، الذي أمرك بالصلاة هو الذي نهاك عن الربا.

لا، أصلي وفلوسي في بنوك الربا، أليس الآمر هنا هو الآمر هنا؟ نعم، طيب لماذا تنتقى؟ بمزاجك من شريعة الله ما تفعله وما لا تفعله، ما الفرق يعني؟ ولكنه الهوى كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قبل ذلك: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأيما قلبٍ أُشربها نُكتت في قلبه نُكتةٌ سوداء، وأيما قلبٍ ردها نُكتت في قلبه نُكتت في قلبه نُكتة بيضاء، حتى تعود القلوب بين قلبين، قلب أسود مرباد كالكوز مُجخِّيًا» وهذا الشاهد «لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشر ب من هواه».

إذا شيء ماشي على مزاجه، وعلى هواه في الدين، ما يعترض، أما شيء لا يمشي على مزاجه يرده، طيب هذا دين، وهذه آية في القرآن، وهذه آية في القرآن، لا، اعمل هذا واترك هذا، وهذا يا إخواني الكرام لا يقل سوءًا عمن يزيد في دين الله ﷻ، ويبتدع في دين الله، والمسلم الموفق من سلم من الآفتين، ومن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يبتدع، ولم يُنقص ويحتقر شيئًا من هذا الدين.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يبارك لنا ولكم في الكتاب العظيم، وأن ينفعنا وإياكم به، اللّٰهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللّٰهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا عيبًا إلا سترته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا حاجة إلا قضيتها ويسرتها يا رب العالمين.

اللّٰهم فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللّٰهم آمنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفق للحق إمامنا وولي أمرنا.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت:٤٥].

۞۞۞